

الجمعة 30 جمادى الآخرة 1442 الموافق 12 فبراير 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

حفظ اللسان عن السب والشتم

من الآفات السيئة التي انتشرت بين كثير من الناس مستهينين بها، ظاهرة السب والشتم، فترى وتسمع من يسب ويلعن أهله وولده ومتاعه ويومه وساعته وجاره وعدوه بل يسب ويلعن حتى نفسه، ولا يكاد يسلم شيء من سبه. وهي آفة تولد الأحقاد، وتنتشر الضغائن، وتوغر الصدور، وتخرج العبد من زمرة الصالحين، وتدخله في ديوان العصاة الفاسقين، وهي كذلك من أخلاق الجاهلية. يذكر الصحابي أبو ذر رضي الله عنه أنه سب رجلا وعيره بأمه، فقال له النبي ﷺ: «يا أبا ذرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» (رواه البخاري)

وقد أمر الله جل وعلا عباده أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، دون غيره من السفه واللغو والباطل، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فقال سبحانه لنبيه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الإسراء: 53) قال القرطبي: والآية نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلا من العرب شتمه، وسبه عمر وهم بقتله، فكادت تثير فتنة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (ذكره الثعلبي والماوردي وابن عطية والواحدي) وقد استجاب المومنون لربهم، فحفظوا أسنتهم من الخوض في الباطل واللغو في الكلام، وكانوا كما قال الله عز وجل عنهم: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان: 72)

وأما الحبيب المصطفى القدوة فقد كان طيبا، عف اللسان حتى مع خصومه، لا يصدر عنه إلا أحسن الكلام، وأعذب الكلمات. يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: «لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّابًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا لَعَانًا» (رواه البخاري)

إخوة الإسلام:

إن إمساك المرء لسانه من أهم أسباب النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وذلك لما للسان من خطورة على مستوى الفرد والجماعة. قال عقبة بن عامر: يا رسول الله، ما النجاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلا تَسْغَكْ بِلِسَانِكَ، وَابْكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ» (رواه الترمذي) أمسك عليك لسانك: أي كفه واحبسه واحفظه عن قول كل شر، ولا تنطق إلا بخير، لأن كل ماتنطق به محصي ومجزى به. قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: 18). وقول: نكرة جاءت في سياق النفي لبيان العموم، يعني أي قول يقوله الإنسان مهما كان يكتب، سواء كان خيرا أم شرا أم لغوا، لكن المحاسبة تكون على ما كان خيرا أو شرا.

عباد الله:

إن أعظم السب ذنبا سب رب العالمين، سبحانه جل عن كل عيب ونقص، وتعالى عما تلوكة السنة الجاهلين في حق ربنا علوا كبيرا. وسب الذات العلية يعد من أسوأ المنكرات، ومن أعظم نواقض الإسلام، وهكذا سب الأنبياء وسب الدين والإستهزاء بأحكامه وكذا سب الملائكة. قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: 65) وقد ورد في السنة النبوية مجموعة أحاديث تنهى عن السب، أذكر باقة منها:

1- النهي عن سب الدهر:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» (رواه مسلم)، والدهر هو الزمان.

قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: قالوا: هو مجاز وسببه أن العرب كان من شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك فيقولون: يا خيبة الدهر ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر فقال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ». أي: لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى، لأنه هو فاعلها ومنزلها، وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى. ومعنى فإن الله هو الدهر أي: فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات، والله أعلم (شرح مسلم 3 / 15).

2- النهي عن سب الصحابة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» (رواه البخاري)

3- النهي عن سب العلماء:

عن عبادة بن الصامت قال: قال عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ» (حسنه الألباني في صحيح الجامع)
أقول: إن الذين يطعنون في العلماء هم في الحقيقة لا يضرهم إلا أنفسهم، وهم يستجلبون بفعلتهم الشنيعة هذه أخبث الأوصاف وهي الفسق، قال تعالى:
﴿يُنْسِئِ الْأَسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: 11)
وهؤلاء هم من شرار عباد الله.

عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به إلى النبي ﷺ قال: «خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذَكَرَ اللَّهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ، الْبَاعُونَ الْبُرَاءَ الْعَنْتَ» (رواه أحمد)

4- النهي عن سب المسلم:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (متفق عليه)

5- النهي عن سب الوالدين:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ» (رواه البخاري)

6- النهي عن سب الريح:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّيحَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ فَلَا تَسُبُّوْهَا وَسَلُّوْا اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا» (رواه ابن حبان)
وهكذا يحرم سب المطر والبرد والحر... إلخ، فمن سب هذه الأشياء فهو في الحقيقة يسب الذي سخرها وهو الله تعالى.

7- النهي عن سب الحمى:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا أُمَّ السَّائِبِ، أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُرْفِزِينَ؟ قَالَتْ: الْحَمَى، لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ: لَا تَسْبِي الْحَمَى، فَإِنَّهَا تَذْهَبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يَذْهَبُ الْكَبِيرُ حَبْتِ الْحَدِيدِ» (رواه مسلم)

8- النهي عن سب الديك:

عن زيد بن خالد الجهني قال: لَعَنَ رَجُلٌ دَيْكًا صَاحَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنَهُ؛ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ» (رواه أحمد)

هذه بعض النواهي التي جاءت بها السنة في النهي عن السب أو الشتم، أو اللعن. لذا فإن الواجب على المسلم أن يحذر من ذلك كله، لأنه مسؤول عن قوله ومحاسب، وليتذكر قوله تعالى:
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: 24)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (رواه البخاري)
نعم، رَبَّ كَلِمَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا الْمَرْءُ وَهُوَ لَا يَظُنُّ أَنَّ لَهَا بَالًا، تَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ وَعَذَابِهِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

أيها المسلمون:

لقد كان خوف السلف الصالح من آفات اللسان عظيماً، كان أبو بكر رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول: «هَذَا الَّذِي أُوْرِدَنِي الْمَوَارِدَ».

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

فإذا نطقت فلا تكن مكثراً
فلتندم على الكلام مراراً

الصمت زين والسكوت سلامة
فإذا ندمت على سكوتك مرة